ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

مجلة أبعاد

مجلد 09، العدد 02، 2022

# أسس الحوار والتسامح الإسلامي المسيحي

# *The Foundations of Islamic-Christian Dialogue and Tolerance*

بوزيدي مسعودة *
amelbouzidi3131@gmail.com

فلسفة

مخبر الفلسفة وتاريخها
كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران 2

*********************

| تاريخ الإرسال: 2021/09/01 | تاريخ القبول: 2021/11/06 | تاريخ النشر: 2022/12/31 |
| --- | --- | --- |

**ملخص:** نحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن نلم بمختلف أهم المبادئ والأهداف والغايات التي أسست لمشروع التقارب بين دين الإسلام والديانة المسيحية من خلال هندسة هذا التقارب على أسس الحوار والتعايش والاعتراف كل طرف بالآخر فهو اعتراف من الإسلام بالمسيحية واعتراف المسيحية بالإسلام وهو التزام أخلاقي وأسلوب أصيل يستمد مشروعيته من الكتاب والسنة لأنه يخاطب فطرة الإنسان ووجدانه من خلال الوعي والفهم المتبادل بعقيدة الآخر ودراسة فكر الآخر فيتحقق التواصل بين الدينين الإسلامي والمسيحي خاصة بعد الصراع الذي عرفته الحضارات، ويحدث ذلك التقارب ليحقق ما يعرف بالتعايش السلمي والتسامح وهو مبدأ التعاون العالمي على السلام بين الدينين شريطة أن يتمسك كل دين بمبادئه، فلا تمييز عنصري يفرقهما ولا انتماء جغرافي يفصلهما.

**الكلمات المفتاحية:** الحوار؛ الدين الإسلامي؛ المسيحية؛ التسامح؛ التعايش السلمي

**Abstract:** We try through this research paper to understand the various most important principles, goals and objectives that established the project for rapprochement between the religion of Islam and Christianity by engineering this rapprochement on the basis of dialogue, coexistence and recognition of each other. It is a moral commitment and an authentic method that derives its legitimacy from the Qur'an and Sunnah, because it addresses the human instinct and conscience through awareness and mutual understanding of the faith of the other and the study of the thought of the other. The world advocates peace between the two religions, provided that each religion adheres to its principles, so that neither racial discrimination nor geographical affiliation separates them.

**Keywords**: Dialogue ; Islam ; Christianity ; tolerance ; peaceful coexistence.

* المؤلف المُرسل: amelbouzidi3131@gmail.com

## مقدمة:

إنه من الطبيعي أن البشرية في مختلف الحضارات عرفت ديانات مختلفة لهذا فقد كلف الله عزوجل الأنبياء بالرسالة دون سواهم من البشر لدعوتهم إلى التوحيد من خلال الكتب السماوية التي تعرضت إلى التزييف والتحريف من توراة موسى حتى إنجيل عيسى إلا القرآن الكريم فقد اختار الله عزوجل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وأنزل الله عليه القرآن الكريم للمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ فالخطاب القرآني هو خطاب الرسالات التي نزلت من قبل وهي خطابات عالمية إنسانية المنزع وليست طائفية لا تتميز لعرق تراعي التوازن بين العقل والوحي وبين المادة والروح وبين الحقوق والواجبات غير أن عصرنا كما هو معروف هو عصر التفاعل الحضاري من جهة وكذا الانفتاح على حضارات الغير في ظل الحوار الحضاري بين مختلف الأديان ليتحول من صراع الأديان في مختلف الأزمان إلى حوار بين الأديان في ظل التسامح الذي طبع ذلك الحوار بدل الجدال والاختلاف، غير أن هذا الحوار لا بد أن يكون مبني على الحجة والبيان إلا أنه ومع مرور الزمن عرفت الأديان حوارات تعددت واختلفت أشكالها لأن لكل منها معتقداته وأفكاره ووجهات نظره الخاصة به تعتمد على منطلق الحوار المبني على مبدأ احترام الآخر وتقبل رأيه من خلال اللقاءات الحوارية على مستوى الأفراد أو الجماعات فتمخضت عنه نزعة السلام والتعاون والحوار بين الأمم والشعوب ومن بين ذلك الحوار الإسلامي والمسيحي الذي تم بين الطرفين فالأول يدين بدين الإسلام والثاني يدين بدين المسيحية ومن طبيعة هذا الحوار أنه كان ممارسة يومية يعيشها المسلمون والمسيحيون على السواء فكان من الضروري أن يتبادل المتحاورين من أهل الديانتين الحقائق والأفكار وكل الخبرات التي تزيد من معرفة كل دين بالآخر بطريقة موضوعية علمية تكفل المصداقية والإخاء بين أصحاب الديانتين فمن سمات الدين الإسلامي أنه دين يسر يرتكز على قاعدة أساسية لقول الله تعالى: "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ". وقوله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾، ولا يمكن الوصول إلى نتائج إيجابية إلا إذا أبدى كل من الطرفين الإسلامي والمسيحي الاستعداد لقبول الآخر والاعتراف به من خلال ما قد يكون بينهما من اختلاف أو اتفاق مع احتفاظ كل طرف بمعتقداته بعيدا عن كل النوازع.

لهذا حاولنا من خلال دراستنا هذه الوقوف على الإشكالية التالية: كيف تجسدت لغة الحوار ومبادئ التسامح في ظل الدين الإسلامي المسيحي ؟وكيف كانت الانطلاقة الفعلية للحوار الإسلامي المسيحي من خلال تحديد ضوابط استمراريته ونمائه ؟

تطرقنا في بداية دراستنا هذه إلى تحديد شامل لمفهوم الحوار في اللغة وكذا اصطلاحا الحوار: الحوار في اللغة له معان تدور في مجملها حول معنى: الرجوع والمراجعة والرد فقد جاء في اللسان: "الحور: هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء وحار إلى الشيء وعنه: حورا محارا ومحارة وحؤورا، رجع عنه وإليه". فالحوار: هو التجاوب لذا لا بد من وجود متكلم ومخاطب في كل حوار يتبادلان الكلام بهدف توليد الأفكار الجديدة أو توضيح المعاني واغناء المفاهيم لا الاقتصار على عرض الأفكار القديمة ( الزعيبي، أحمد، 1998: ص 94). لقوله تعالى: ﴿**فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ**﴾ سورة الكهف، الآية 34، بمعنى أن يراجعه الكلام ويجاوبه.

ويأتي الحوار بمعنى المخاطبة يقول الطبري من قوله تعالى: "وهو يحاوره" وهو يخاطبه ويكلمه فالخطاب أصله الكلام بين اثنين فحاوره: راجعه في المنطق والكلام في المخاطبة. وخاطبه مخاطبة: كلمه وراجعه في الكلام، وتخاطبا: تراجعا وتكالما والخطاب ما يكلم به الرجل به صاحبه.

إن الحوار هو تراجع الكلام والتجاوب فيه بالمخاطبة والرد وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم ( عبد السلام، جعفر، سايح أحمد، 2006: ص 119). ويحدد جان غريز المفهوم من أن كل خطاب هو عبارة عن حوار سواءً أكان هذا الحوار صريحا أم مضمرا وسواءً أكان مباشرا أو غير مباشر ويمكن تحديد هذه النماذج المتعددة في القرآن الكريم بعدة معاني منها: قال الله تعالى: ﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا**﴾ سورة الكهف، الآية 37.

قال تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِير** ﴾سورة المجادلة، الآية 01.

فالحوار نوع من أنواع الخطاب الإنساني والحوار الديني والثقافي فهو شكل من أشكال الخطاب الديني والثقافي الموجه وقد تم تعريف الحوار بأنه "فن من فنون الكلام والمحادثة وصيغة متقدمة من صيغ التواصل والتفاهم وأسلوب من أساليب العلم المعرفة ومنهج من مناهج الوعي والثقافة ووسيلة من وسائل التبليغ والدعوة" ( حسن

أحمد، محمد خليفة، 2008: ص 19). ويؤكد ذلك طه عبد الرحمن بقوله أن الأصل في الكلام الحوار. ويعتبر هوريو أن الحوار ظاهريا وكأنه تبادل الكلام الحر والعمل، فالكلام الحر يحمل الصور والأفكار والآراء والأحكام وأحد الطرفين يأخذ المبادرة أو يستردها ولكل منهما القدرة والإمكانية على القول وعلى النقض.

يرى أبو بكر العزاوي أن اللغة البشرية ذات طبيعة حوارية حجاجية، فالحوار إذن نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة أي ينتقل الحديث من الأول إلى الثاني ثم يعود إلى الأول وهكذا، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب فهو بالتالي حالة من التفاعل والتجاوب، بل هو التزام أخلاقي ليس فيه أي انحياز للذات أو للغير وإنما ينصفهما بما يتوافق مع قيمهما المتناظرة على حد تعريف مصطفى القباح.

فنظل نكرر عبارات مثل "أن تعاليم الأديان الكبرى تمجد مبدأ التسامح أو أن جميع الأديان لديها في جوهرها فكرة الأخوة العالمية ورسالة مشتركة من الرحمة والمحبة أو أن المصدر الرئيسي للتسامح يوجد في التعاليم الدينية التي تبشر بعدم التمييز والإخاء والاحترام المتبادل بين البشر وقد فشلت كل جهود المستعمر الأجنبي في التفرقة بين المسلمين والمسيحيين( قلادة وليم سليمان وآخرون، 1986، ص: 29).

جاء الإسلام دينا خاتما للدين والشرائع السماوية كلها وبعث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كافة بشيرا ونذيرا فأعلن الإسلام أن النّاس جميعا خلقوا من نفس واحدة بمعنى وحدة الأصل الإنساني حيث جاء في القرآن الكريم قول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً" سورة النساء، الآية 01.

فالحوار يعتبر حاجة إنسانية تفرضها حالة الصراع والتدافع بين الأمم والثقافات، كما أن الحوار يعتبر مبدءً إسلاميا متأصلا في نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف وذلك من خلال مبدأ التعارف بين الشعوب وما يتطلبه هذا التعارف من فهم الآخر وسعي إلى استكناه ثقافته وحضارته، ولا شك أن هذه الحاجة الإنسانية وهذا المبدأ العقدي يحتاجان إلى مناخ فكري مناسب ومحيط ثقافي ملائم يسوده الأمن والسلام ويتسم بتكافؤ الفرص بين المتحاورين وحرية التعبير عن الرأي ولعل هذه الصفات تشكل في الوقت ذاته أهداف الحوار وعلى رأسها تحقيق الأمن والسلام بين الشعوب

والأمم ( زريق، برهان خليل، 2018، ص: 19).

وفي السيرة النبوية نماذج كثيرة أيضا من الحوارات جسد من خلالها الرسول صلى الله عليه وسلم الحوار الفعال على أرض الواقع بما كان يُجريه من مناقشات أو مجادلات مع أهل الكتب سواء بينه وبين أفراد كحواره مع ورقة بن نوفل وعدي بن حاتم والجارود بن عمرو وعدّاس، أو بينه وبين جماعات ووفود كحواره مع وفد نصارى نجران ووفد بني حنيفة وكل ذلك تطبيقا لمبدأ الحوار وأسسه وشروطه فوجد المسلمون في هذا حافزا آخر دفعهم إلى محاورة الأقوام والشعوب الآخرين المقتدين في هذا الشأن بنبيهم عليه الصلاة والسلام ( عريف، إسماعيل بن التومي، 2021، ص: 69). يكون بذلك الإسلام هو دين الأرض وبإرادة من السماء فقد احتوى كل الأديان برسالته القرآنية الشاملة من حيث التشريع والحكم والعقيدة وفيه الكلمة المشتركة بين الأديان والتي كتبت أيضا في التوراة والإنجيل وكل الكتب السماوية وهي كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" هذه هي القاعدة الجوهرية في الأديان وهي الوحيدة الصالحة كأساس لحوار الأديان.

وضع القرآن الكريم قاعدة تعدّ الدستور الأساسي في معاملة المسلمين لغيرهم من النّاس وذلك في قوله تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ سورة الممتحنة، الآية 08. فالآية واضحة تماما في تحديد كيفية العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين والعلاقة قائمة على أمر أعظم من العدل . الذي هو إعطاء كل ذي حق حقه . وإنما ترتقي هذه العلاقة إلى مرحلة الإحسان . وهو الزيادة على الحق . ولقد قدمت الآية لفظ البر الذي يعني فعل كل الخير من أي ضرب كان لفظ القسط الذي يعني العدل وهذه إشارة رائعة من الآية الكريمة إلى كيفية معاملة غير المسلمين في حالة السلم إنها علاقة قائمة على البر والإحسان وهو أمر فوق العدل وفوق إعطاء الحقوق (عجك، بسام داود، 1998،ص:34). فلو كانت الأديان جميعا على اتفاق فيما بينهما لما كانت ثمة حاجة إلى أكثر من دين وإنما هي رؤى متباينة يعكس كل منها مفهوما مخالفا عن الكون والحياة والسلوك البشري وليس إله هذا الدين بإله ذاك، فما الإله في مفهومي غير حصيلة مكونات هذه الرؤية المباينة للرؤى الأخرى "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ" والاعتراف بهذه الحقيقة التي يدركها في قرارة نفسه كل دين يأبه له، خطوة إيجابية في سبيل التعايش الديني والاحترام المتبادل بين أفراد الطوائف الدينية المختلفة شريطة أن يستقر في

النفوس مبدأ أساسي: هو أن كل رؤية تحمل جانبا من الحقيقة لم تركز عليه سائر الرؤى وأن ثراء الروح البشرية والفكر الإنساني هو في الاطلاع على كنه تلك الرؤى المباينة ومحاولة الغوص إلى أعماقها للاستفادة من الجديد الفريد الإبداعي المتميز فيها وأن معيار رقي الفرد وعظمته الروحية هو مدى فهمه وتوفيره لكافة ضروب الفكر التي أسهمت في تشكيل البشرية ( قلادة وليم سليمان وآخرون، 1986، ص: 29).

والواقع أن الحضارة الإسلامية ازدهرت بنتيجة مناشدة الإسلام للعقل وعلى النقيض من المسيحية في أوروبا ذلك الزمن كان المسلمون يعتبرون الفكر شيئا ساميا و صفة محترمة من صفات الإنسان، يضاف إلى ذلك أن الإسلام أعاد حرية الأديان والتسامح الديني إلى كافة المناطق التي انتشر فيها بعد قرون طويلة من الاضطهاد الديني والفكري الذي مارسته الكنيسة ( الزين، محمد فاروق، 2002، ص: 155).

ولعلنا نقول: إن حضارة الإسلام قيميا وتاريخيا وواقعيا في ضوء ذلك وسعت التاريخ العام الإنساني وتاريخ النبوة من لدن آدم عليه السّلام لذلك فهي ذات عمق تاريخي وغنى إنساني ابتداء من النشأة الأولى و حتى ينشىء الله النشأة الآخرة، و جاءت بأنموذج يحتذي للتكامل والاكتمال والكمال فقوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ المائدة 03 . كما هو معلوم . لا يعني رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقط وهذا قائم بطبيعة الحال وإنما يعني . فيما يعني . أن عندها وبها اكتملت وتكاملت مسيرة النبوة وحضارة النبوة ودين البشرية من لدن آدم عليه السلام فهي تمثل الصورة المبكرة والخاتمة الخالدة للكمال والتكامل ( حسن زهرة، عطا محمد، 2014، ص 11).

وعلى أسس ومبادئ لم يثبت أنها آتية من السماء على الوجه القطعي وهذا ولا شك تدمير للناموس الإلهي، لأن المسيح ما جاء إلا حلقة من حلقات الرسالة السماوية. والمسيح أشار بذلك أنه سيأتي من بعده رسول اسمه أحمد يكمل هذه الحلقات ومن ثم تصيح رسالة واحدة إلى كل الأمم من خلال خاتم الرسل وختام الوحي السماوي. والسبب يأتي من أن القرآن أشار إلى ذلك بوضوح تام، وهناك مقارنات يمكن أن يلحظها كل إنسان يتوق إلى معرفة الحقيقة فبينما الأناجيل متعددة الاتجاهات والكتب والمبادئ ناهيك عن الإضافات في الشعائر والاعتقادات التي تختلف من طائفة لأخرى ومن شخص لأخر ( عبد الفتاح، زيدان قعدان، 2005، ص: 92 ).

جاء القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، فختم الله تعالى به الشرائع والأديان ليهدي

البشرية، وليصحح ما انحرف من تعاليم الديانات السابقة عموما واليهودية والمسيحية بصفة خاصة. وإن الباحث في القرآن الكريم يجده قد رسم صورة واضحة لكل ما يتعلق بالمسيحية من حيث نبيها . عليه السلام . وأتباعه، وعقيدته، وقد ذكر القرآن الكريم أيضا تحريف المسيحية بعد نبيها في مجال العقيدة والشريعة، وإلى هنا تشير الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾ سورة المائدة، الآية 48. إن القرآن ثابت لم ينله تحريف أو تبديل رغم الأعاصير والأهواء التي حاولت فعل ذلك، والسبب قاله خالق الإنسان والكون في قوله الأبدي: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ سورة الحجر، الآية 09.

والسبب أنه رسالة عالمية بعكس الأناجيل المتعددة والمختلفة. وهذا أمر أدركه كثير من المفكرين الغربيين الأحرار وعليه إن فكرة عالمية الرسالة المسيحية قد أخرجتها عن الأهداف المرسومة لها من أنها فقط لبني إسرائيل ولمرحلة من مراحل البشرية انتهت بمجيء القرآن الذي جاء ليهدم الناموس ولكن ليتمم الناموس فمصدر الرسالات واحدا ولها جاءت من عند الله ولا يمكن أن تصطدم وبعضها البعض (عبد الفتاح، زيدان قعدان، 2005، ص: 93).

يميز المسلمون بوضوح بين إنجيل عيسى والأناجيل الأربعة المتداولة في الأوساط المسيحية فهم يؤكدون بالإجماع أن هذا الإنجيل قد نزل على عيسى من عند الله فهو كتاب الوحي الإلهي إذ لا بد لكل مرسل أو نبي من كتاب: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ سورة البقرة، الآية 213.

فالإنجيل هو الكتاب السّماوي الذي أنزله الله تعالى على سيّدنا عيسى ليهدي النّاس ويرشدهم إلى طريق الحق فمن النّاس من آمن به ومنهم من كفر به وقّل به عن السبيل ولم يخص رسالته شعبا بعينه بل كانت رسالة عالمية إذ بلغت جميع البشر على خلاف رسالة اليهودية التي حبست نفسها في بني إسرائيل لذلك نلاحظ أن انتشار المسيحيّة في زمن الرسول يمتد أكثر من انتشار اليهودية فكانت المسيحيّة هي الديانة الرسمية لمعظم الحضارات في ذلك الوقت، فكان التأكيد على أن إنجيل عيسى المذكور في القرآن وهو الأصل الإلهي قد ضاع فهم يطالبون دائما و تكرارا بإنجيل عيسى ولا يصح بنظرهم الاعتقاد بأي كتاب من العهدين القديم والجديد على أنه كتاب من عند الله أو أنه

يحوي الوحي الإلهي.

فالأمان مطلب إنساني فطري يستمد جذوره من أهم غريزة وجدت في فطرة الإنسان وهي غريزة حب الذات وتعمل هذه الغريزة مع باقي الغرائز الأخرى بشكل متناسق لتحقيق سير إنساني متوازن نحو الأهداف التكاملية العليا للإنسان، وتأكيدا من الفطرة نفسها على توفير الجو الآمن نجد العناية الإلهية قد غرست فيها بديهيات الحكمة، والميول نحو العدل والنفور من الظلم والاعتداء بل ومنحتها القدر على تعيين الكثير من مصاديق العدل والظلم (زريق، برهان خليل، 2018، ص: 24).

يتفق من كتبوا عن الإسلام من المفكرين الغربيين المحايدين على أن التسامح مكون من أساس من طبيعة الإسلام فكرة استلهمت من عشرات الآيات من القرآن والمئات من الأحاديث التي تأمر بالعفو والمغفرة والحلم و الصبر على الأذى ومقابلة الإساءة بالإحسان وكان من الطبيعي أن يظهر أثر هذا التسامح في التعامل الإنساني مع الشعوب المغلوبة والقدرة على التعايش الإيجابي مع الآخر ( المخزومي، صادق، 2016، ص: 346). ولأهل الذّمة في ديار الإسلام أن يؤدّوا شعائرهم الدّينية عل أكمل وجه، فحرية ممارسة العبادة وأداء الشعائر من الأمور البديهية التي يتضمنها أي عقد أو معاهدة يبرمها المسلمون مع غيرهم، ولعل أروع الأمثلة على هذا التسامح الرفيع . رغم أنه لم يكن هناك عقد أو معاهدة . هو سماح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لوفد نصارى نجران المؤلف من حوالي ستين شخصا بدخول مسجده الشريف وجلوسهم فيه لفترة طويلة وعندما حان وقت صلاتهم قاموا متوجهين إلى المشرق ليصلوا صلاتهم فقام المسلمون لمنعهم عن ذلك إلاّ الرسول صلى الله عليه وسلم نهاهم عن ذلك وتركهم يصلون في طمأنينة (عجاك، بسام داود، 1998،ص: 47 ) .

ومن جهة أخرى فإن ما جاء به المسيح هو: "أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم".وهذا لا ريب قمة التسامح وهو لا يمكن أن يكون نبراسا منهاجا لدعاة الصليب والصليبية وحتى ولو كان الإسلام والمسلمون أعداءهم فكان غير مطلوب مقاتلة المسلمين أو ذبحهم ابتغاء شتى الوسائل من أجل تحقيق هذا الهدف على الأقل وفق الموعظة. والذي يجب أن نعرفه أن الذين قادوا الحروب الصليبية على المسلمين لم تكن لديهم المبادئ الأساسية لرسالة المسيح، ولكن كانت لديهم مبادئ متناثرة أخرجت أشخاصا حاربوا الذين أكثر من أن يناصروه ونصرة الدين لا تأتي بالعنف والقتل بل

تأتي بالمعروف والإحسان والموعظة الحسنة (عبد الفتاح، زيدان قعدان، 2005، ص: 95). إن التغلغل في فهم العواطف والمشاعر الإنسانية يفسر كثيرا من المواقف الغامضية لقد رأينا أن المسلمين في مكة يتحمسون للنّصرانية في صراعها مع المجوسية ويحزنون لانكسار الروم أمام الفرس، مع أن الإسلام لم يكن قد اتصل بعد بالنّصارى اتصالا يسوّغ هذا الحماس لكنه الشعور الطبيعيّ الوحيد الذّي ينتظر من الرجل المخلص لدينه فالمسلمون أصحاب كتاب يدعو إلى التوحيد والنّصارى أهل كتاب ( المخزومي، صادق، 2016، ص: 394).

فإن الحوار بين الحضارات يتطلب استمرار بذل الجهود والمحاولات لأنه مهد باستمرار ببعض المخاطر والمنزلاقات فالحوار ليس في مأمن من التوتر والتأزم والتعثر والركود، والحوار عملية تفاعلية لا يمكن أن تفرض لكن المهم هو الوعي والاقتناع بأن ما يعتري الحوار الحضاري أحيانا من الانتكاسات إنما هو أمر مرحلي وعادي ومن المفروض أن يدفعنا إلى مزيد العمل من أجل صيانته وحمايته عبر قيام منظومة المرتكزات التي تسندها في ذلك مؤسسات المجتمع المدني ( عبد السلام جعفر، سايح أحمد، 2006، ص: 197).

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾، هذا النداء يشكل أول نداء عالمي للتعايش الاستيراتيجي بين الديانات الموحدة ويمكن أن نقول عنه أنه أول نداء عالمي للتعايش بهذه الحقيقة التاريخية يكون لزاما على الدارس للمنهج الإسلامي أن يعود الذي سبق نشأة الإسلام ليلاحظ فترة الانغلاق على الدين الواحد والتعصب الأعمى له، ونبذ ما عداه ومن بينها الفترة التي تميزت بها القرون الأخيرة قبل ظهور الإسلام والتي تعني رفض التعايش السلمي مع عقائد الآخرين ( زريق، برهان خليل، 2018، ص: 09).

وأن سمة المجتمع الإسلامي هي التعايش السلمي والديني بين طوائفه وملله فلقد أوصى القرآن الكريم بهذا التعايش وحث عليه في قوله تعالى: ﴿**لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ سورة الممتحنة، الآية 08.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعود مرضى غير المسلمين ويزور جيرانه منهم ويحسن

محتاجهم ويدعوهم إلى الإسلام بكل رفق ولين، وكان احتفال غير المسلمين بأعيادهم ومناسباتهم من الأمور المألوفة لدى المجتمع الإسلامي في جو من الحرية والتسامح حيث كانت الطقوس الدينية تجري داخل المعابد والكنائس والأديرة وفي كثير من الأحيان كان بعض المسلمين يشارك في هذه الأعياد (عجك، بسام داود، 1998،ص: 54).

مع أن القرآن وضع لَبُنَات العلاقة الإيجابية مع غير المسلمين وخصّ المسيحيّين، وكذلك مسالك الخلفاء الراشدين السّمحة، فقد رفع عمر بن الخطاب الجزية عن قبيلة تَغْلُبَ العربيّة وتفاعل الإمام عليّ مع المسيحيّين في نجرانية الكوفة ورعى فقراءهم ( المخزومي، صادق، 2016، ص: 349). ومما يبدو أن هذه المعطيات جميعا حفزت النسيج الاجتماعي سدّى ولحمة على التآزر والتمازج في ظل الدولة العربية المتّشحة بالإسلام .

والحقيقة الغائية الحاضرة أن الحاجة كانت ولا تزال ملحة لقيم حضارية إنسانية تلم جميع الأمم والحضارات وتستوعب ذلك التبعثر والتناثر الحضاري وتهندس خارطته المنسجمة وتضبط مسيرته القاصدة وتحمي حدوده من الاعتداء وتحفظ إنسانيته من السقوط، بحيث يشكل ذلك فضاءها الحضاري ومجال سعيها وبذلك تؤدي مهمتها الرسالية تجاه استنفاذ النّاس وتوفير الحياة الطيبة والخروج من المواجهة والصّراع ونزعة الهيمنة والاستعمار للشعوب إلى الحوار والتعايش والتعاون والتكامل وتكافؤ الفرص ( حسن زهرة، محمد عطا، 2014، ص: 17).

إن وحدة الأصل السماوي للديانات وصدورها من نبع واحد يدعو بشكل صريح إلى البحث دائما عن الأسس المشتركة التي جاءت بها هذه الرسالات، ولقد بيّن القرآن الكريم تلك الأسس التي تنبني عليها عقيدة الرسالات السماوية ولذلك يضع نقاطا واضحة في عملية التقريب بين المسلمين والمسيحيّين فهو يطلب من المسيحيّين الإقرار بتلك النقاط.

والإسلام ينكر النظرة المركزية التي ترى العالم كحضارة واحدة مهيمنة ومتحكمة في الحضارات الأخرى فهو ينظر إلى المسرح العالمي كمنتدى حضارات متعددة لا تقوم على الانعزال و إنما على التفاعل والتساند في كل ما هو مشترك وإنساني عام، ولا يتم ذلك إلا على قاعدة الإيمان بفلسفة الأديان وما يمكن أن تقدمه للبشرية ( حسن زهرة، محمد عطا، 2014، ص: 121).

إذن فعلا هل يتحقق التواصل بين الدّينين الإسلامي والمسيحي خاصة بعد الصراع الذي عرفته الحضارات ويحدث ذلك التقارب ليتحقق ما يعرف بما يسمى بالتعايش بين الدّينين بشريطة أن يتمسك كل دين بمبادئه.

ولقد تواصل الحوار العلمي والفكري بين المسلمين والمسيحيّين عقب كل مرحلة من مراحل الصراع. .وهذا التواصل ليس غريبا إذ جاء في القرآن نص خالد يأمر بالتعارف بين النّاس دائما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ سورة الحجرات، الآية 13. ( عبد الفتاح، زيدان قعدان، 2005، ص: 175).

فهذه هي البداية الأولى للقاء والتقارب وهي الكلمة السواء كلمة الحق والعدل التي تسّوي بين الجميع، إنها كلمة الإذعان والخضوع لإله واحد خالق لا شريك له، إن هذه النقاط هي دعوة من خلال الحوار الإسلامي المسيحي إلى كل المسيحيّين لكي يعودوا إلى حقيقة الأديان التي جاءت بها الرسل الكرام . عليهم السلام . من غير تحريف ولا تشويه (عجك، بسام داود، 1998، ص: 160).

اعتبر الحوار اعترافا من كل طرف بالآخر فهو اعتراف من الإسلام بالمسيحيّة واعتراف من المسيحيّة بالإسلام وهذا الهدف يراه البعض حاجة ملحة بالنسبة للمسلمين أكثر منها للمسيحيّين على حين رأى آخرون أن الطرف الإسلامي هو الخاسر فيها إذ أن فيها دعما معنويا للكنيسة أمام الشعوب المسيحيّة، فاعتراف الطرف الإسلامي بالكنيسة سيمكنها من أن تقول لشعوبها: أنظروا أعداؤنا يعترفون بنا ويحاورورنا فلماذا أنتم أيها المسيحيون تكفرون بنا كما أنّ هذا الاعتراف سيفيد الطرف المسيحيّ في تعزيز مكانته داخل بلدانه وبيان أهمية الدور الذي يلعبه في التعرف على ما عند الطرف الإسلامي وما يمكن أن يؤدي إليه الحوار من تغيير للمفاهيم ( رضوان سامر، أبو رمان، 2005، ص: 43). فمن خلال عملية الحوار لا يحق لطرف أن يمارس الإجبار أو الضغط على الطرف الآخر أو أن يستخدم الإرهاب الفكري ليحوله إلى معتقده أي يجب أن يكون سير الحوار ضمن حرية فكرية واضحة. وهذا الأمر ليؤكد أن لا صراع بين المسيح ورسالته من جهة وبين محمد ورسالته من جهة أخرى وإنما الصراع هو صراع بين الحق والباطل سواء أكان صراعا داخليا أو صراعا خارجيا. .ومن ثم كان الإسلام المصحح للنصارى في عقيدتهم في الذات الإلهية ومناديا لهم بالعودة إلى جوهر التوحيد الذي هو أصل

الديانات السماوية ولا جدال في أن التوحيد هو أشرف العقائد الإلهية وأجدرها بالإنسان في أرفع حالاته العقلية والخلقية ( عبد الفتاح، زيدان قعدان، 2005، ص: 174).

لهذا يقوم الحوار الإسلامي المسيحي ومشروعيته من الكتاب والسنة على مبدأ إسلامي واضح وهو مبدأ الدعوة إلى الله تعالى ودين الإسلام وتعتبر الدعوة إلى الإسلام من أهم معالم المنظور الإسلامي العام والخاص إذا فالحوار هو في الحقيقة التطبيق العملي لمبدأ الدعوة إلى الإسلام مع القريب والبعيد، والعدو والصديق ومع كافة أصناف البشر ومختلف العقائد والتيارات الفكرية والملل والنحل ( عجك، بسام داود، 1998، ص: 155).

لقوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ سورة آل عمران، الآية 104.

كما أن الاستقرار الاجتماعيّ والاقتصاديّ الحاصل في البلدان المفتوحة ولد لدى الجماعات الدينية استقرارا نفسيا توجهوا خلاله إلى إعادة البنى الفكرية الدّينية وتنظيمها لتتوافق مع المرحلة وقتذاك، فنلحظ اللقاءات بين أئمة الديانات وعلمائها من الشّيوع بمكان وأنّ نقل جلساتهم طفق بتداولها أهل الأخبار وإن كانت بالرواية الإسلامية إلا أنها تدل بوضوح على تسامي الحريات الدّينية والارتقاء بالجدل الديني إلى أعلى مستوياته قد أخذ ما أخذه ( المخزومي، صادق، 2016، ص: 351).

قيام الحوار على مبدأ عدم العنف: أي الحوار الهادئ وهو الطريقة السلمية التي تعتمد على اللين والمحبة أساسا للحوار ولذلك لا بد من سلوك هذه الطريقة بالكلمات الطيبة المرنة التي تفتح القلوب على الحق وتقرّب الأفكار إليه وتخاطب فطرة الإنسان ووجدانه بعيدا عن كل المعاني الشديدة والألفاظ القاسية ( عجك، بسام داود، 1998، ص: 156). لقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ سورة النحل، الآية 125.

وتقوم الموعظة في القرآن فضلا عن قيامها على ركني الحق والعلم على ركن ثالث هو الكلمة المعبّر عنها بالموعظة الحسنة وفي ذلك بيان لأهمية الكلمة ومنزلتها في الإسلام تلك الكلمة التي كلّم الله بها موسى تكليما وبشر الله بها مريم وكلم بها عيسى النّاس في المهد وصدق بها يحي وتلقاها آدم من ربه وابتلى بها إبراهيم، واستقر الله بها نبي الإسلام

وجعلها معجزة القرآن إنها الكلمة السواء كلمة ربك الحسنى كلمة الصدق والعدل يحق الله بها الحق ويمحو الباطل وهي كلمة التقوى التي ألزم تعالى المؤمنين بها يوم الحديبية تلك كلمة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها وإليه يصعد الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه وكلمة ربك في الحقيقة كلمات عجز البحر أن مداداً لها ( توفيق بن عامر، 2013، ص: 48).

فالآيات تدعو إلى المجادلة الحسنة والدين في الوعظ والإرشاد وإتباع سبيل الفكر والبرهان والقرآن هو الذي أشار أولا إلى الدليل العقلي والبرهان كأساس جوهري للمجادلة والحوار. أضحى العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيّين في ظل الدولة العربية ضرورة حضارية واجتماعية لتوافر روابط متعددة بين أفراد المجتمع إذ يحيون على أرض واحدة ويتكلمون لغة أصولها واحدة وتجمعهم هموم وطموحات مشتركة وأهم من ذلك تجمعهم وحدانية العبودية لله تعالى والتي هي دعوة جميع الرسل والأنبياء وبفضل هذا الإيمان وهذه الروابط والممارسات الإيجابية في ظل الدولة العربية تبلورت شخصية حضارية تؤمن بدائرة القيم الأخلاقية والروحية المشتركة التي تمثل منظومة إنسانية واحدة إذ ترسم خارطة العلاقات الاجتماعية التعايشية بين النّاس بشكل عام وبين المسلمين والمسيحيّين بشكل خاص ( المخزومي، صادق، 2016، ص: 423).

ولعل أول الأبعاد التي كانت لها الهيمنة على الرسالة الوعظية هو البعد الدعوي الذي نجد له نماذج بارزة أولا في النّص الديني ولاسيما في صيغته الموجهة إلى كافة النّاس عموم البشر كما مثلته نماذج الخطب أو الرسائل الوعظية الأولى في الإسلام، فالوعظ قد اكتسب في نشأته الإسلامية الأولى بمفهوم الدعوة وسبلها ومنهجيتها، وكان الخطاب فيها متجها بالدرجة الأولى إلى المشركين وهدايتهم إلى الصّراط المستقيم وقد كان شعار هذا الخطاب الدعوة السّلمية والمجادلة بالتّي هي أحسن والاحتكام إلى الرأي السديد والموقف الرشيد وقد كان هذا النشاط الوعظي المبكر والذي اقتضته طبيعة المرحلة تجسيما للأمر الإلهي الموجه إلى الرسول الكريم ( بن عامر، توفيق، 2013، ص: 49).

إنّ اللاعنف هو مجموعة مواقف ومفاهيم وأفعال المقصود منها إقناع النّاس على الجانب الأخر بتغيير آرائهم ومفاهيمهم وأفعالهم ويستخدم اللاعنف وسائل سلمية لتحقيق نتائج سلمية، ويعني اللاعنف بأن المعنيين لا يثأرون بعنف من أفعال خصومهم

بل يمتصون الغضب والضرر بينما يقومون بإرسال رسالة راسخة عن الصبر والتصميم على هزيمة الظلم ( أبو النمر، محمد، 2008، ص: 27).

وذهب البعض ألى أن كافة الأديان قد أمرت بالتسامح و احترام الأديان الأخرى وهو قول لن ندعه يمر أي دين بالضبط أمر بالتسامح واحترام الأديان الأخرى ؟اليهودية التي أباحت السرقة من مال غير اليهود و الزنا بغير اليهود و اقتضاء الربا من غير اليهود ؟أم المسيحية بقول عيسى عليه السلام: "أجبرهم على الدخول حتى يمتلئ بيتي "(إنجيل لوقا 14. 23) أم الإسلام والقرآن الكريم يذكر صراحة: "وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ" ( قلادة، وليم سليمان وآخرون، 1986، ص: 31).

فمن الطبيعي بعد أن أقر الإسلام وجود أنا مؤمنة وآخر غير مؤمن أن يحدد هذا الدّين طبيعة العلاقة تجاه هذا الأخر لكنه قبل أن يرسي تفاصيل خصخصة العلاقات الإنسانية أرسى دعائم يقوم عليها التفاعل الإنساني بغض النّظر عن أية اختلافات في الفكر والمنهج فتحقيق الذات السّوية وحسن بنائها في هذا السّياق وسبل نجاتها منوط بالتعاون والتكامل والتعايش مع الآخرين وإنقاذهم فبناء الآخر والاهتمام به والتكامل معه أخذا وعطاءً جزء من بناء الذات والاعتزاز بها .

ويعتبر هذا المبدأ نهاية المطاف في الحوار لتبدأ مرحلة جديدة من العلاقات القائمة على الاحترام المتبادل بين المسلمين والمسيحيّين وهي مرحلة التعايش السلمي وعدم تعرض كل طرف لمقدسات ومعتقدات الطرف الآخر.

والإسلام هو الدين الوحيد الذي حمل لواء فكرة التعايش السلمي بين الأديان وذلك عندما لا يجدي الحوار في أمور العقيدة وحتى لا يتحول الحوار إلى جدال متوتر ينسف كل أجواء التعايش من أساسها. والقرآن الكريم واضح صريح في هذه النقطة حيث يبين أنه لا حرج على المسلم أن يحيا التعايش السلمي بينه وبين أي إنسان مخالف له في دينه ومعتقده ولم يظاهر الطرف الآخر على المسلم بالعداوة والتحريض أو الإساءة والخيانة وهذا التعايش السلمي قائم على أساس من العدل والإحسان.

ولعل أسلوب التسامح كان له دور في اجتذاب الآخر الدّينيّ وجعله يقتنع بأن الإسلام الذي وضعه على خارطة المساواة يمكن أن يعتنقه فهو أحد العوامل المؤثرة التي اتبعها المنهج الإسلامي يقول ول ديورانت "على الرغم من خطة التسامح الدّينيّ التي كان ينتهجها المسلمون الأوّلون أو بسبب هذه الخطة اعتنق الإسلام معظم المسيحيّين وجميع

الزرادشتيين والوثنيين إلا قليلا منهم وكثير من اليهود" ( المخزومي، صادق، 2016، ص: 347).

وعن التسامح الديني بين الأديان تقول المؤلفة هونكه: عندما دخل العرب الإسكندرية عام 642 م لم يكن هناك منذ ومن طويل مكتبات عامة كبيرة وأما ما أتهم به قائدهم عمرو بن العاص من إحراقه لمكتبة الإسكندرية والذي يعبر به حتى اليوم عن صورة مفرغة للبربرية و الوحشية فقد ثبت أنه مجرد اختلاف. وتقول المؤلفة إن عمروا فاتح الإسكندرية هو نفسه عمر الذي ضرب المثل بتسامحه طوال فتوحاته وحرم النهب والسلب والتخريب على جنوده وعمل ما كان غريبا عن فهم الشرقيين القدماء والمسيحيين على السواء لقد ضمن صراحة للمغلوبين حرية ممارسة شعائرهم الدّينية المتوارثة. ..

وإليك نموذج عقد صلح مع الشعوب المنهزمة على تلك المعاني: هذا الاتفاق يشمل كل الرعايا المسيحيين كهنة ورهبانا وراهبات وهو يضمن لهم الحماية والأمن أينما كانوا حسب مشيئتهم وبالمثل يحمي كنائسهم ومساكنهم وأماكنهم المقدسة. ..الخ ( عبد الفتاح، قعدان زيدان، 2005، ص: 175).

وعندما يختار القرآن الكريم مبدأ الحوار الهادئ والأسلوب السلمي وطريقة اللين يبشر إلى نتائج هذا المنهج وبهذا كله يتحقق للحوار هدفه وهو الوصول إلى الإيمان أو إلى أو إلى أكبر قدر من الفهم المشترك في الأسس والأهداف، والحوار بالتي هي أحسن يتمثل في إتباع أفضل الأساليب وأحسنها في إقناع الطرف الآخر بالفكرة التي يدور حولها الحوار ( عجك، بسام داود، 1998، ص: 157).

وتتجسد ملامح التسامح الديني في فتح باب الجدال حول المشتركات الدّينية مثل مسألة "الفرقة النّاجية" في الأديان من رواية أبي الصهباء البكريّ قال: سمعت عليّ بن أبي طالب وقد دعا "رأس جالوت" وأسقف النّصاري فقال: إني سائلكم عن أمر وأنا أعلم به منكما فلا تكتماني يا رأس جالوت أنشدتك الله الذي أنزل التوراة على موسى وأطعمكم المنّ والسّلوى وضرب لكم في البحر طريقا وأخرج لكم من الحجر اثنتي عشرة عيناً لكلّ بسط من بني إسرائيل عين، إلاّ ما أخبرتني على كم افترقت بنو إسرائيل بعد موسى ؟فقال له: ولا فرقة واحدة فقال له عليّ: والله الذي لا إله إلاّ هو لقد افترقت على إحدى وسبعين فرقة، ثم دعا الأسقف فقال: نشدك الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى

وجعل على رحله البركة، وأراكم العبرة فأبرأ الأكمه وأحيا الموتى، وضع لكم من الطّين طيورا، وأنبأكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم، فقال: دون هذا أَصْدُقك يا أمير المؤمنين فقال: والله الذي لا إله إلاّ هو لقد افترقت على اثنتين وسبعين فرقة، فأما أنت يا يهودي فإن الله يقول: ﴿**وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ الأعراف 159.وأما أنت يا نصرانيّ فإن الله يقول: ﴿**مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ**﴾ المائدة 66. فهي التي تنجو، وأما نحن فيقول: ﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ الأعراف 181 وهي التي تنجو من هذه الأمة ( المخزومي، صادق، 2016، ص: 352).

إن من أهم ما امتازت وتمتاز به الحضارة الإسلامية نزوعها الإنساني فهم قيم الإنسان وحضارة الإنسان حيث هو وحيثما كان واعترافها بالآخر وتقديره دوره في صناعة التاريخ الحضاري والإقرار بما هو عليه من المكارم ومحاسن الأخلاق وما يمتاز به من الكرم والوفاء والعدل والصدق والتعايش . أما عن نصارى نجران فقد أرسلوا وفدهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في يثرب بعد أن استقرت أوضاع المسلمين وتم الحوار بين الطرفين ليرسل النبي صلى الله عليه وسلم مبعوثه عمرو بن حزم ليتمخض الحوار عن وثيقة أمان وسلام شملت في بنودها إقرار (الآخر) النصراني على استقلاليته الدّينية والاقتصادية بل ووضعت أسس التعاون الذي ارتقى إلى تكفل دولة النبي صلى الله عليه وسلم في يثرب بحماية الآخر النجراني النصراني من كل عدوان الأمر الذي بدد هاجس خوف النصارى من تكرار "المحرقة اليهودية" التي عانوا منها طيلة سنوات مضت وسجلت لنا سورة البروج ( إدريس، محمد جلاء، 2003، ص: 112). وبالتالي نلاحظ أن هذا الحوار وصل في أوله إلى طريق مسدود وتوقفت القدرة على الحوار عند ذلك تحول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مبدأ التعايش السلمي ووضع مبادئ العيش المشترك .

ولعل أول ما طفق هنالك من احتكاك دينيّ ملحوظ بين المسلمين والمسيحيّين حين أخذوا يتجادلون ويتحاجّون في العقائد في تأصيل الحوار الإسلاميّ المسيحيّ على قاعدة ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ سورة النحل الآية125. فثمة حرية عظيمة للنقاش الديني في مطلع القرن الثّامن وأن المسيحيّين قد سمح لهم أن ينقدوا الدين الرسمي بكل حرية ونتيجة للمشتركات بين الدّينين وللاختلاط الاجتماعي الإسلامي المسيحي جعل المسلمين على صلة بمعلومات

اللاهوت المسيحيّ والتعرف على مبادئ الفلسفة الإغريقية ( المخزومي، صادق، 2016، ص: 353).

لقد حددت آية الحجرات مسبقا الطابع العام للعلاقات الحضارية متمثلا في التعارف، لقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ ولم تقل "لتتصادموا" والتعارف على نحو ما ذهب زكي الميلاد "هو أرقى المفاهيم وأكثرها قيمة وفاعلية ومن أشد وأهم ما تحتاج إليه الأمم والحضارات وهو دعوة لأن تكتشف وتتعرف كل أمة وكل حضارة على الأمم والحضارات الأخرى بلا سيطرة أو هيمنة أو إقصاء أو تدمير التعارف هو الذي يحقق وجود الآخر ولا يلغيه ويؤسس العلاقة والشراكة والتواصل معه لا أن يقطعها أو يمنعها أو يقاومها" ( إدريس، محمد جلاء، 2003، ص:107). وقد استخدم الحوار عند المسلمين على عدة مستويات مهمة من أهمها مستوى الدعوة الإسلامية حيث اعتمد الحوار كوسيلة عقلية من وسائل الدعوة الإسلامية استنادا إلى عقلانية الإسلام كدين من ناحية وضرورة الاقتناع العقلي بالإسلام وعقائده من جانب غير المسلم. في ظل مجتمع تسوده حياة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين يتأصل التآثر بالآخر في ما يشتمله من وعي حضاري. فأضحى المتصوفة المسلمون الأوائل يستمدون التنظيرات العرفانية المتجلية في الفكر الصوفي من التأثر بالرّهبانية المسيحيّة نحو الاندماج بالذات الإلهية ويقتدرون بالتّطبيقات في بناء الرُّبط والمقامات والطرائق الصّوفية على أساس من الصّوامع وكان المتصوفة المسلمون في القرنين الأولين للإسلام يختلفون إلى النسّاك المسيحيّين، يسألونهم في العقائد والحياة الروحية وأن عددا من المقالات الأولى التي وضعت في الزهد الإسلاميّ يبدو نقلا لموضوعات مسيحية بشيء من التوسّع والتّصرف ( المخزومي، صادق، 2016، ص: 354). فلم يكن العيش المشترك خاليا من أسس الاحتواء أو الانضواء تحت ظلال دين الدّولة إلا أنه خال من القهر الدّيني والإكراه وهذا يتماشى مع مقولة كايتاني: "لم يضطهد العرب أحدا في السنوات الأولى من أجل الدّين كما أنهم لم يعملوا على ضم أحد إلى دينهم، ومن ثم تمتع المسيحيون السّاميون في ظل الإسلام بعد الفتوحات الأولى بحرية لم يتمتعوا بها من قبل طيلة أجيال عديدة. ..".

إن الحوار الحقيقي بين الحضارات يشكل أبرز التحديات التي يواجهها العالم اليوم فهو شرط من شروط التعايش السلمي بين الشعوب ونحن نعتقد أن الحضارة العربية

الإسلامية قادرة في ظل التحولات الدولية والتحديات المستجدة بفضل رصيدها التاريخي والثقافي وتجاربها الثرية على أن تلعب دورا إيجابيا في تعميق مبادئ الحوار بين الأمم والشعوب وتحقيق معاني التفاهم والسلام الدوليين ( عبد السلام جعفر، سايح أحمد، 2006، ص: 197).

من معالم القرن الأول الهجري/السابع ميلادي أنه منبت بذرة العلاقات الإسلامية المسيحيّة ونمّاها وجسدّها في مسارها التاريخيّ والحقوقيّ، و ظلّ عنوانا شاخصا في ذاكراتها ولقد ثبت أن الزمن الإسلاميّ الذي استهل في القرن السّابع هو الذي وسم وعي المسيحيّين القاطنين في الشرق و أثر في بناء هويتهم الثقافية وصياغة مقولاتهم وأحكامهم وانتظام مسلكهم، ومنذ القرن السّابع أحس هؤلاء المسيحيون وما انفكوا يحسّون في أعماق تبصرهم اللاهوتيّ أنهم منتمون إلى الشّرق الذي أشرق الدّين الإسلامي وشرق الثقافة العربية ( المخزومي، صادق، 2016، ص: 350).

من المعلوم أن الاختلافات الكبيرة بين الإسلام والمسيحيّة في ميدان العقائد ولذا فإن أكثر دعاة الحوار الإسلامي . المسيحي يطالبون بالابتعاد عن الحوار حولها واعتبار ذلك من سلبيات الحوار وأنه يشكل عائقا أمامه وأنه ليس من الحكمة تجاذب جدل كلامي عقدي حول اللاهوت، ولكن في الوقت نفسه هناك من دعاة الحوار من يؤكد أهمية الحوار العقائدي واعتباره قضية أساسية ( رضوان سامر، أبو الرمان، 2005، ص: 58).

إن تفهم المسلمين الحياة الفكرية لدن الحضارات جعلهم أكثر تنظيما وأفضل إدارة للعلاقات الدّينية والأخلاقية مع الديانات والشعوب الأخرى، وارتقوا في هذا المنحى حتى أنهم أضحوا . بحسب لوبون . أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين فهم الذّين علموا الشّعوب النّصرانية، وإن شئت فقل: حاولوا أن يعلموها التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان ولقد كانت أخلاق المسلمين . في أدوار الإسلام الأول . أرقى كثيرا من أمم الأرض قاطبة ( المخزومي، صادق، 2016، ص: 358). ولهذا يعتبر تحقيق الفهم المتبادل هدفا مشتركا للحوار الإسلامي المسيحي ولا بد من التوسل إلى ذلك بالتمكن من الفكر الذاتي ودراسة فكر الآخر بعمق والتمييز بين تشكلاته المذهبية داخل كل دائرة فضلا عن انعكاساته في التمثلات الشعبية التي عادة ما تتحرك بالمفاهيم من مرتبة الصفاء إلى منحدرات التحكمات العرفية أو مزالق التطورات المادية ( آيت أمجوض، عبد الحليم، 2013، ص: 291).

تتحصّل زبدة التعايش الفكري في البلاد الإسلامية في مفهوم روزنتال بأن المدينة الإسلامية نمت بالتوسع لا بالتعمق داعية إلى العقيدة ناظرة إلى تلك المنجزات الفكرية القائمة آنذاك مناقشة إياها ومقتبسة ومتبنية لما يسهم في تأصيل حضارة راقية ونظرا لأنها حركة روحية جديدة فقد اضطرت إلى عرض معتقداتها و فوق كل ذلك فتتقد الإسلام تهاوت الحواجز القديمة من اللغة والعادات وتوفرت فرصة نادرة لجميع الشعوب والمدنيّات لتبدأ حياة فكرية جديدة على أساس المساواة المطلقة وبروح المنافسة الحرة ( المحزومي، صادق، 2016، ص: 362).

إن ظاهرة الحوار الإسلامي المسيحي وفاعليتها لم تبدأ إلا منتصف القرن العشرين وتحديدا منذ المجمع الفاتيكاني الثاني المنعقد في الفترة 1965/1962 حول علاقة الكنيسة مع الديانات الأخرى يشكل الانطلاقة الأولى لظاهرة الحوار الإسلامي المسيحي وإن لم يكن لذلك منعطف خطير ومهم للتقارب الإسلامي المسيحي وأساس للحوار الإسلامي، فلقد رآه البعض للمرة الأولى منذ أربعة عشر قرنا . من تجاوز المسيحية والإسلام . تحدث فيها مجمع مسكوني كاثوليكي بصورة إيجابية عن الإسلام كما أن هذا الإعلان قد شجع الجانب المسيحي على المبادرة إلى عقد ملتقيات حوار إسلامية مسيحية في العديد من بقاع العالم ( رضوان سامر، أبو الرمان،، ص: 28).

ويقرر موريس بورمانس بأن جميع المسلمين والمسيحيين بمختلف فرقهم وطوائفهم وأطيافهم وجنسياتهم في كل مكان من العالم مدعوون إلى المشاركة في الحوار الإسلامي المسيحي، كما أنهم مدعوون إلى إقامة علاقات اقتصادية وثقافية وسياسية، وطنية ودولية فلا يقتصر الحوار على طائفة دون أخرى أو على مذهب دون غيره ( عريف إسماعيل، بن التومي، ص: 55). وقد أشار أبو زيد إلى إعلان هيئة الأمم المتحدة سنة 1995م للتسامح وإصدارها نشرة خاصة عن ذلك كان أبرز ما فيها الدعوة إلى التسامح بين الأديان بتأسيس زمالة حقيقية بين أتباعها واعتبار البيان العالمي لحقوق الإنسان بمثابة الإطار المرجعي المشترك بينهما مع التأكيد على الحرية الدينية وتعزيز المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة للوظيفة نفسها بإصدار كتابا باسم "مفهوم التعايش في الإسلام".

يقول محمد عمارة في هذا السياق: "إن كل هذه الحوارات التي دارت وتدور بين علماء الإسلام ومفكريه وبين ممثلي كنائس النصرانية الغربية فقد افتقدت ولا تزال

مفتقدة لأول وأبسط وأهم شرط من شروط أي حوار من الحوارات وهو شرط الاعتراف المتبادل والقبول المشترك بين أطراف الحوار.

**خاتمة:**

إن العفو، التسامح والرحمة تظهر بجلاء واضح في الدين الإسلامي وتعاليمه التي يرتكز عليها فقد كان له أثرا ايجابيا بالدرجة الأولى من خلال تحديد الأفكار وحتى وإن اختلفت وجهات النظر لا بد من قبول الآخر والاكتساب من معارفه وخبراته التي تعد نعمة وخدمة لمختلف الشعوب وتنفع كافة المجتمعات فيسود بالضرورة التعايش السلمي تحت بنود منها التعاون والتعارف واحترام حقوق الغير وقبوله وتقبل حرية الإنسان وتحديد أفكاره من جهة أخرى، فالمتتبع لظاهرة الحوار الإسلامي المسيحيّ يقوده بالضرورة إلى استخلاص أن هذا الارتباط قد أثر تأثيرا إيجابيا على تطور وإنماء هذا الحوار، وفي الأخير يبقى الدين الإسلامي فاتح الأبواب أمام الكثير من أبناء الديانات الأخرى للولوج في أسراره كما أن البحث في القصص التي روت كيف كانت الحضارات في ضلال وكيف حاول الرسل والأنبياء تصويب الآراء نحو الحق والابتعاد عن الزيغ فصور الله عزوجل كل ذلك في لوحات لقصص الأنبياء، وتبقى الحقيقة أن محمدا هو خاتم الرسل جاء بخاتمة الرسالات، ويبقى الإنسان له الخيار خاصة أن الله عزوجل فضله بالعقل الذي ميزه عن غيره من الموجودات قال الله تعالى: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ سورة الحشر، الآية 21.

## قائمة المصادر والمراجع:

**القرآن الكريم.**

1. اسماعيل بن التومي عريف، الحوار الإسلامي المسيحي، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، الجزائر، 2021.
2. برهان خليل زريق، حوار الحضارات وبعده الديني، وزارة الإعلام السورية، ط 1، 2018.
3. بسام داود عجك، الحوار الإسلامي المسيحي "المبادئ ـ التاريخ ـ الموضوعات ـ الأهداف"،دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1998،1.
4. توفيق بن عامر، التجربة الدّينية بين الوحدة والتنوع، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2013.
5. جعفر عبد السلام، أحمد سايح، المسلمون والآخر أسس لتبادل الحوار والتعاون السلمي، رابطة الجامعات الإسلامية، العدد 20،القاهرة، 2006.
6. عبد الحليم آيت أمجوض، حوار الأديان "نشأته وأصوله وتطوره"، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، ط 1، 2013.
عطا محمد حسن زهرة، تكامل الحضارات بين الإشكاليات والإمكانيات، البحوث والدراسات الإسلامية،العدد 161، ط1، مارس 2014.
7. سامر رضوان أبو رمان، الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان "الحوار الإسلامي المسيحي نموذجا"،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط 2، 2005.
8. صادق المخزومي، الإسلام والمسيحيّة "سوسيولوجيا العصور التأسيسية، دار الرافدين، لبنان، كندا، ط1، 2016.
9. زيدان عبد الفتاح قعدان، آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، دار البشير، عمان، 2005.
10. محمد أبو النمر، اللاعنف وصنع السلام في الإسلام، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2008.
11. محمد جلاء إدريس، العلاقات الحضارية، دار القلم، دمشق، ط 1، 2003.
12. محمد خليفة حسن أحمد، الحوار منهجا وثقافة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2008.
13. محمد فاروق الزين، المسيحية والإسلام والإستشراق، دار الفكر، دمشق، ط 2، 2002.
14. وليم سليمان قلادة وآخرون، التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات، مركز إتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية، القاهرة.ط 1، 1986.

**المعاجم:**

أحمد الزعيبي، المعجم الفلسفي، دار الآثار، ط 2، 1998.